حفاظ الشعوب على سيادة الدولة وسلطتها أمرٌ محتَّم

الأستاذ الدكتور/ عبد الله فدعق

المملكة العربية السعودية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

فإن المعاناة من تجلية مفهوم المواطنة للناس كبيرة جدًّا، خاصة وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الجماعات المتطرفة حاولت وتحاول دائمًا وضع الناس في تقابلية خاطئة بين "الدين" و"الدولة"، ودائمًا ما يستميت المتطرفون في تشتيت المجتمعات من خلال ترديدهم أن "الدين" نقيض" الدولة "، وأن " الدين" – في زعمهم – لابد أن ينشأ في معزل عن "الدولة"، مع الحرص الكامل منهم على إخفاء ما يقوله فقهاء المسلمين، من أن العدو إذا دخل دولة صار الجهاد واجبًا على أهل الدولة دون تفرقة بين ذكر أو أنثى، أو بين صغير أو كبير؛ بل حتى بين من كان منهم يحمل سلاحًا أو لا يحمله، وحتى لو فنوا جميعًا، ولا عذر لأي واحد من أهل البلد عن التقاعس في حماية وصيانة تراب وطنه، وسيكون عرضة للوم الشرعي لو قرر النجاة بنفسه، أو ظن أن هروبه منجاة يتمكن منها من أداء ما افترضه الله تعالى عليه.

إن الوسطية، والعدالة، والمساواة أركان من جملة أركان أساسية تؤدي إلى رفعة أمن المجتمعات، على عكس مهددات كثيرة، كالإرهاب، والعنف، والإقصاء، والظلم، والتمييز بين أبناء المجتمع، والبطالة، والكسل، وكلها مسائل تستوجب التكاتف المجتمعي للقضاء عليها، والتحالف الإقليمي والدولي لمواجهتها، وآليات المواجهة متعددة؛ فهناك الآلية التربوية،

والآلية الاجتماعية، والآلية الإعلامية، والآلية العسكرية، وتوحد هذه الآليات ضروري من أجل صمود الدولة الوطنية، وتقوية بنائها، بل إن مساندة الدولة الوطنية في مساعيها ضد مهددات الأمن فرض عين على كل إنسان، في موقعه الفكري والثقافي والاجتماعي.

من نافلة القول، ذكر أن الإرهاب صار ظاهرةً دوليةً، وليست مقتصرة على بلد بعينه، وما يحدث في أية دولة من دول العالم نجد تأثيره في منطقتنا وما حولنا، وأن الإرهاب ليس له انتماء محدد، وأن أحجامه وألوانه ومستوياته مختلفة، ويجمع أشكاله قاسم مشترك يتمثل في كونه طاحونة تأكل الأخضر واليابس، وأن الأديان بريئة منه ومن صانعيه، وأن من أهم مقاصدها – أي الأديان– حفظ وحماية الأوطان.

إن الإرهاب اليوم لم يعد فكرة، وإنما هو صناعة وباب ربح، وما حدث ويحدث من الجماعات الإرهابية المختلفة ليس أمرًا عفويًّا، وإنما هو حرب موجهة ومعلنة ضد كل سلام ونماء ورخاء في المنطقة ، ومتاجرة واضحة باسم الدين؛ الأمر الذي يستوجب زيادة جرعات التوعية بمخاطره – أي الإرهاب – على الحاضر والمستقبل، من خلال تكاتف المثقفين والإعلاميين والدعاة والعلماء، استجابة لقوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة : ٢).

وأؤكد أن الجماعات المتطرفة التي تعتقد أن الإسلام نظام سياسي فحسب، وتبيح فرضه بالقوة على الناس، ورغبتهم الأولى والأخيرة تتمثل في تأسيس دولة دينية توافق مفهومهم الخاص والمغلوط عن الدين، وهم الذين تسببوا ويتسببون في تشكيل صورة نمطية مسبقة عن الإسلام وعن المسلمين، وأخافوا ويخيفون الناس – بألفاظهم وأفكارهم وانغلاقهم –من الدين.

شخصيًّا أتمنى ألا يطول الوقت بنا حتى نرسخ لدى الإنسانية جمعاء أن الإسلام لا يهدد السلم الاجتماعي، وأن الإسلام أقوى مكافح لانتشار وباء (الطائفية) و (الكراهية)، وأتمنى أن يفهم العالم كله بكافة ألوانه وأعراقه وأطيافه أن الإسلام دين الحقوق والحريات والعدالة؛ دين لا يهمش ولا يسحق، ولا يحرم الناس من الفطرة السليمة التي هي سر التسامح والفضيلة.

دعونا نقولها بصدق : إن المشكلة ليست في الدين، كما أنها ليست في المتدين الملتزم بسلوكه الديني القويم، المشكلة تكمن في المتاجرين بالدين والمتكسبين به، ومن يحاولون اتخاذه مطية لتحقيق أغراضهم الشخصية أو أغراض جماعاتهم النفعية الضيقة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.